

4

قصص المبشرون بالجنة

الآلَمِيز
العَظِيم

سلوى العناني



التلميذ العظيم

(الإمام عليُّ بن أبي طالب)

هذا فتى هاشميُّ الأيوبي .

أبوه (أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف)

وأُمُّه (فاطمة بنتُ أسد بن هاشم بن عبد مناف) .

في هذا البيت الكريم قضى (النبيُّ محمدٌ) سنواتٍ طويلةً من شبابه وصبله .. وجد من عمِّه (أبي طالب) عوضاً عن الأب والجد اللذين فقدهما .. كما وجد قلبَ الأمِّ عند فاطمة زوجة عمه و بنت عم أبيه التي أولته حنانها ورعايتها ..

جلس (محمدٌ) يوماً إلى الطعام مع أسرة عمِّه ، فلاحظ علامات الإرهاق على زوجة عمِّه ، فسألها إن كانت تنتظر مولوداً ؟ .. وتوجَّه بالحديث لعمِّه ..

- "إن كانت حاملاً أنتى فزوجنيها" .

فقاله له عمه أبو طالب : " إن كان ذكراً فهو لك عبدٌ ..
وإن كانت أنثى فهي لك زوجة " ..

فلما جاء المولودُ ذكراً فرح به محمدٌ واسمه (عليه) .
كان (محمدٌ) يصر دائماً على أن يكونَ لهمَ عملٌ .. فهو
يأبى على نفسه أن يعيشَ عائلةً على عمِّه .. فخرج يرمى
الاعنابَ في ضواحي (مكة) إلى أن شبَّ ونما .. فطلب أن
يرافقَ عمِّه في رحلة التجارة إلى الشام .. وعُرف عن
(محمدٍ) الأمانة والصلق والبر ، فاستأنته (خديجةُ بنت
خويلدٍ) على ملأها ، فخرج به في تجارة ، وعاد بخير كثيرٍ فلما
رأت منه جميلَ الخصال تزوجته .. وانتقل للحياة معها تاركاً
بيتَ عمِّه (أبي طالب) .

كان (محمدٌ) باراً بعمه وبأسرته .. دائمَ الزيارة له .. ملحاً
كل حبه ورعايته (لعلى) .. الفتى الصغير الذي كان شديدَ
التعلق بأبن عمه (محمد) .

تعرضتُ قريشٌ لازمةً وعنفٍ .. فقل (محمد) لعمه
(العباس) :

.. " إن أخاك (أبا طالب) كثيرُ العيال ، وقد أصاب الناسُ

ما ترى من هذه الأزيمة .. فانطلق بنا إليه فلنخفف عنه من
عباله .. آخذ من بينه رجلاً ، وتأخذ أنت رجلاً ، فتكفلهما
عنه " .

وضم (محمد) (عليه) إلى كتفه ..

وضم (العباس) إليه (جعفرا) .

في بيت (محمد) عائش (علي) حيلة سعيذة .. فقد كان
متعلقا بابن عمه منذ تفتحت عينه على الحياة .. فكم داعبه
صغيرا وكم لاعبه وعلمه وأطعمه .. وهو يتعلم منه اليوم
مبادئ الرجولة ودروس الحياة ..

وجه الوحي إلى (محمد عليه السلام) أن {اقرأ باسم ربك
الذي خلق اقرأ باسم ربك الذي خلق} [العلق : 1 - 2] .

دخل (علي) البيت فرأى (محمدًا عليه السلام) واقفا
ومن خلفه وقفت (خديجة) .. تقوم مع قيامه ، وتركع مع
ركوعه .. وسمعهما يتلوان كلاماً لم يسبق له أن سَمِعَهُ ولما
انتهيا عما كانا فيه سألهما ..

.. "لمن تسجدان ؟ "

فلجابه محمد :

" إنما نسجد لله الذي بعثنى نبيا ، وأمرني أن أدعو الناس إليه " .

ودعا (محمد) (عليه) إلى الدخول في الدين الجديد وإلى عبادة الله الواحد الذي لا شريك له .

وقرأ (محمد) بعض ما أنزل إليه من الذكر الحكيم فانبهر (عليه) من سحر البيان وجمال المعنى ، ولكنه استأذن في أن يشاور أباه في أمر هذا الدين قبل أن يؤمن به .

قضى (عليه) ليلته مؤرقا يفكر فيما سمعه من ابن عمه ، وفي الصباح أعلن إسلامه دون الرجوع إلى أبيه . وقال :

- " لقد خلقني الله من غير أن يشاورَ (أبا طالب) ، فما حاجتي أنا إلى مشاورته لأعيد الله ؟ " .

هكذا أصبح (عليه) ثاني من دخل الإسلام بعد خديجة .. وأول صبي يعتنق هذا الدين .

كانت ليلة مقمرة .. نسيمها طيب .. جلس (محمد) ومجانبه (عليه) في الحلاء يتأملان قدرة الله في خلق الكون

ويسجدان شكراً له على نعمائه .. فمر بهما (أبو طالب)
فسأل (محمدًا):

- "يا ابن أخي ، ما هذا الدينُ الذي أراك تدين به ؟"
قال له (محمد) :

- "أى عم .. هذا دينُ الله ودينُ ملائكتِهِ ودينُ رسلِهِ
ودينُ أبينا (إبراهيم) .. بعثنى الله به رسولاً إلى العبادِ
وأنت أحقُّ من بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى وأحقُّ
من أجابنى إليه وأعاننى عليه" .

فأقسم (أبو طالب) أن يحمى ابن أخيه ما بقى حياً مهما
يكن من أمرٍ .. فلا يمسه أحدٌ بسوءٍ .
ثم سأل (عليًا) :

- "ما هذا الدينُ الذي أنت عليه يا بنى ؟"
فأجابه (عليٌّ) :

- "يا أبت .. أمنت بالله وبرسوله وصدقته بما جاء به ،
وصليتُ معه وأتبعته" .

فقال أبو طالب لابنه (عليٌّ) .

.. "إنه لم يدْعُك إلا إلى الخير فالزمه" .

ياله من أدبٍ في الحوار ، وصديقٍ في الإيمان من فتى صغير لم يبلغ الرابعة عشرة ... هذه فكرةٌ إلى الطريقِ القويم ودله قلبه على دينِ الصديق .. آمين يا نبيّ ولزمه كما يلزمُ الظلُّ صاحبه .. يحفظُ عنه التَّزِيلَ ، ويتخذُ منه الحديثَ والعملَ .. يدافعُ عنه في القتْلِ ، وينصره على أعدائه في السلمِ .

حفظ الله (عليه) فلم ينحن لصنم أبداً .. لم ينحن لغير الله .. فكرَّم الله وجهه .. وكان أولَ من أسلمَ من الفتيانِ وأولَ من صلى خلف النبي .. فكرَّم الله وجهه .. عرف عنه الوَسامةُ والملاحاةُ وقوةُ البدنِ وفصاحةُ اللسانِ والبلاغةُ والبيان .. كان محاوراً ذكياً قوى الحجّةِ جذاباً الحديثِ .. أعطاه الإيمانُ ثقةً بنفسه وبربه فحافظ على مكارم الأخلاقِ ، وكان أشدَّ الناسِ قرباً من رسولِ الله عليه السلامُ .

ونمضي الأيامُ بالسلمين في (مكة) يعانون اضطهاد الكفار وتعذيبهم لهم ونحويعهم وترويعهم .. فهاجر

بعضُهم إلى (الحبشة) وبعضُهم إلى (يثرب) فراراً بدينهم
من هذا البطش .. هاجروا متفرقين حتى لا يلتفتوا نظر أحدٍ
إليهم ..

لكن قريشا كانت تخشى من هجرة النبي .. فهجرته
تعنى انتشار دعوته وقوة أتباعه وتدعيم أنصاره .

واجتمع أنقلب الكفر وأركان الوثنية .. يفكرون في
وسيلة للتخلص من صاحب الدعوة .. كبداية للقضاء على
الدعوة .. وتفشق تفكيرهم الشيطاني عن وسيلة تحقق
غرضهم وتريحهم من متاعب هذا الدين الجديد ..

وكانت مؤامرتهم تتلخص في أن يختاروا من كل قبيلة
فارساً قوياً مسلحاً .. ثم يشترك هؤلاء جميعاً في قتل محمد ..
ويتفرق معه بين القبائل .. ويرضى أهله بالدية .

وصلت أخبار المؤامرة إلى النبي .. وكان عدد كبير من
أصحابه قد هاجروا إلى (يثرب) .. إلا أن (عمداً) كان ينتظر
أن يأذن الله له بالهجرة ..

وجهه الإذن بالرحيل

وكان لابد من الخديعة لتأمين رحيل النبي الكريم الذي
اختار موعداً غير مألوف .. وخرج من باب خلفي لبيته
ودعا (علياً) إلى النوم مكانه والتدثر ببردة الخضراء ليوهم
من يتلصصون على الدار بأن (عمداً) مازال نائماً ..
وتكون الفرصة كافية لابتعاد المهاجرين عن (مكة) في
الطريق إلى (يثرب) .

يالها من شجاعة .. أن يقبل الفتى النوم في موضع يعلم
أنه هدف لعصبة من المسلحين المتربصين !

يالها من ثقة عظيمة بالله .. ملأت قلباً (علي) فجعلته
يقبل على هذا العمل الفدائي !

ويا له من إيمان صادق ثابت عميق ! .

وكانت مفاجأة هؤلاء الفرسان المتربصين بالنبي عندما
اكتشفوا أن النائم تحت البردة لم يكن (عمداً) بل كان
(علياً) .. الفتى الذي لم يبلغ العشرين من عمره ..

قضى (علي) ثلاث ليل في (مكة) أتى فيها الودائع
التي كانت مع النبي إلى أصحابها .. ثم شد رحاله إلى
يثرب ليلاحق بالنبي وصحبه من المهاجرين .

كانت (فاطمة) بنتُ محمد عليه السلامُ من السيدة خديجة رضي الله عنها قد بلغت سن الزواج .. وتنى كل مسلم أن يرتبط بها ليكون له شرف مصاهرة أكرم خلق الله .. وكان النبي يسكت عن كل راعب في هذه المصاهرة إل أن جله (علي) بهذا الطلب .. فسُرَّ الرسول ، ووافق على تزويجها إليه على مهر قدره أربعمئة مثقال فضة .

وفي ليلة زفاف (فاطمة) على (علي) أهداهما الرسول عليه السلام بساطاً من صوف أبيض وقال لابنته :

- "والذي نفسى بيده لقد زوجتك فتى سعيداً في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين" .

سأل النبي يوماً :

- يا (علي) .. كيف أنت إذا زهد الناس في الآخرة ورغبوا في الدنيا وأكلوا التراث أكلاً لما وأحبوا المالَ حبا
جاءه ٩

قال (علي) :

- "أتركهم وما اختاروا ، واختار الله ورسوله والدار الآخرة وأصبرُ على مصيبت الدنيا وبلواها حتى الحق بك

إن شاء الله تعالى " ..

قال الرسول :

- " صدقت .. اللهم افعل ذلك به " .

قلنس (على) العمل .. ولم يستكف لكه بسيطا أو متواضعا .. فكان يغزل الصوف .. ويسقى الحداثق لأصحابها ويأجر أحيانا في السوق ..

إلا أن الحرب والجهل في سبيل الله كان أعظم ما قام به (على) فقد شارك الرسول في أغلب الغزوات ، وكان قتي القتل ورجل المواقف .

ويعرض النبي عليه السلام مرضه الأخير في حياته ... وتشتد عليه الحمى .. وتعمد عليه الصلاة بالناس فيأمر (أبا بكر) ليتولى الإمامة ...

ويبقى (على) إلى جوار النبي يلازمه ، ويحاول أن يخفف عنه إلى أن تحسن صحته ، فيخرج إلى المسجد معتمدا على ولدي عمه (على بن أبي طالب) و (الفضل بن العباس) . ويشارك الناس الصلاة ويخطب فيهم ... ويفرح

المسلمون لخروج نبيهم للصلاة ويقتنونه قد شفى .. ويعود كل إلى عمله .

إلا أنها كانت ضحوة الموت .. فقد قبض النبي في هذا اليوم ... الثامن من يونيو (630م) .

ويقف (علي) على تجهيز النبي ومعه (العباس بن عبد المطلب) وولده (الفضل) و (قثم) و (أسامة بن زيد) مولى رسول الله وظلوا إلى جواره حتى أنزلوه قبره بعد أن ودّعه صحابته والأقربون وجمع هائل من المسلمين .

اعتكف (علي) في منزله لا يفارقه إلا لصلاة الجماعة وأقسم ألا يبارحه حتى يفرغ من جمع القرآن كما تعلمه من رسول الله ..

ولما انتهى من هذه المهمة المقدسة خرج من بيته فيبايع (أبا بكر) خليفة للمسلمين وظل إلى جواره .. يفتيه ويعطيه المشورة ..

وكان يوم (علي) يتوزع بين قراءة القرآن وتدبره .. ثم الخروج إلى الصلاة .. ما إن يفرغ منها حتى يتخذ لنفسه مكاناً في المسجد .. فيجيب على أسئلة الناس .. ويفتي من

يسأله .. ويفسر القرآن .. وكان يقول للناس :

- "أسألوني" .

ومن أقواله كرم الله وجهه :

"من كسله الحياة ثوبه لا يرى الناس عيبه" .

"من أصبح على الدنيا حزينا فقد أصبح لقضاء الله
سائطا" .

"العفاف زينة الفقر .. والشكر زينة الغنى" .

ولما مات (أبو بكر) وتولى عمر بن الخطاب الخلافة
واصل (على) رسالته في المشورة والفتوى وإرشاد الناس
والحكم في القضاء .. وكان (عمر) يأنس لرأيه وفتيه .. فإذا
ما نصحه بغير ما يرى أخذ بنصيحته ، ثم يطلق صيحته
المشهورة :

- (لولا على هلك عمر) ...

ثم كان اغتيال أمير المؤمنين (عثمان بن عفان) بداية
عهد من الفتن والصراعات .. وجله الإمام (على) كرم الله
وجهه ليتحمل مهمة شاقة وخطيرة ... فقد ظهر الخوارج

في العراق وأعلن أهل الشام الثمرة وانقسم المسلمون
وتعلدت بينهم الصدامات العسكرية .

كان فجر الجمعة الثامن عشر من رمضان في العام
الأربعين للهجرة عندما ارتفع الصوت الندى القوي يوقظ
الناس في طرقات الكوفة .. إنه صوت الإمام (عليه السلام) .

كانت فرحة الإمام بالذهاب إلى المسجد .. ومعها هذه
النسمات الندية تجدد في داخله إحساسا بالقوة والفتوة ..
فها هو ذا في طريقه إلى أحب الأماكن إلى قلبه حيث يؤتى
أحب الأعمال إلى قلبه .. وعند باب المسجد .. وقبل أن
يخلع الإمام (عليه السلام) نعليه .. داهمه آثم مجرم فشنج رأسه
بسيفر مسموم .

ويقاد المجرم القاتل إلى الإمام .. فينظر إليه وكأنه يذكره
بعدد المرات التي أكرمه فيها ويقول :

- "أحسنوا تَزْلُهُ ، وأكرموا مشواه ، فإن أعشُ فانا أولى
بدمه قصاصا أو عفوا ، وإن أمت فالحقوه بي أخاصمه عند
رب العللين ، ولا تقتلوا بي سواه ، إن الله لا يحب
المعتدين " ..

مكثا كان الإمام (علي) حتى لحظاته الأخيرة حريصا
على حدود الله ، حريصا على وحدة الأمة ، كارهها لإراقة
الدماء .

فماذا كانت وصية (علي) لنيه ؟
أوصيكم بتقوى الله ربكم ، ولا تموتن إلا وأنتم
مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، فإني
سمعت رسول الله عليه السلام يقول ..

"إن إصلاح الدين أفضل من الصلاة والصيام" ..
وما إن مالت شمسُ نهارِ اليومِ التالي (السبت) حتى
صعدت روحُ الإمام (علي) إلى بارئها راضيةً مرضيةً .